الخاتمة:

باختتام عرض المواد في إشكالية علم النفس التفاضلي للإنسان، يتوجب العودة إلى المسألة التأسيسية الابتدائية حول احتوائه على مادة دراسية إضافة إلى طرقه الخاصة، وهذا يعني وجود قاعدة للادعاء بالاستقلالية.

لقد تم تناول أربعة طرق أساليبية حاصلة على انتشار في علم النفس التفاضلي، وعملياً على كامل مساره التاريخي. هذه الطرق هي الطريقة التصنيفية والطريقة الفردية - العروضية والتفردية وكذلك الطريقة الاجتماعية في إظهار الخواص النفسية والتصنيفية الغير نفسية والتراتيبية. إذا ما تم باختصار تحديد جوهر وعقيدة هذه الطرق، فإنه يمكن اعتبار، أن كلا الطريقتين مرتبطتين بالعملية التصنيفية، التي تميز مبدأ ((أنا واحد منهم وأختلف عن الجميع))، الفردية - العروضية - ((أنا أختلف مع أحدهم و أتشابه مع الآخرين)) أما التفردية -((أنا أتميز عن الجميع)). لذلك وبشكل حاسم، عند إعداد تعريف مادة علم النفس التفاضلي لا يعد استخدام المصطلحات ((اختلاف)) و ((تميز)) مناسباً وصحيحاً بشكل كاف في جميع الحالات.

ما يخص أساليب علم النفس التفاضلي عند الإنسان، فإنه يوجد قواعد لكي ينتمي إلى الأساليب (الناشئة بالتحديد في سبيل إظهار الاختلافات / الميزات الفردية والجماعية)، أسلوب المجموعات التباينية وأساليب التشخيص النفسي التفاضلي. يستخدم عادة أسلوب المجموعات التباينية في الطريقة التصنيفية، أما أساليب التشخيص النفسي التفاضلي - فغالباً ما تستخدم في الطريقة الفردية – العروضية. كذلك يستخدم في علم النفس التفاضلي من أجل تسجيل الأنواع المختلفة بنشاط أسلوب التخطيط النفسي، أما لتحقيق الطريقة الانفرادية فيستخدم أسلوب التخطيط البيولوجي . عدا ذلك، يتبين أن الأساليب النفسية الوراثية مفيدة.

وهكذا، يوجد في الحقيقة تفرع أساليبي حاصل في مادة علم النفس التفاضلي للإنسان وكذلك في المستوى الأساليبي. تظهر هذه التفرعات في جزء محدد غير متطابقة. عند ذلك يشهد النجاح النسبي طويل الأمد والاستخدام المنفصل لطرق

obeikandi.com

الأساليب المستقلة عن بعضها البعض على تماثلها. لذلك يمكن التسليم بإمكانية إصطفائية مادة علم النفس التفاضلي.

هذه الإمكانية تنشأ عند توفر التصور الموافق لخواص الإنسان النفسية التي تفرض وجود صفات نفسية بدائية موجهة لسلوكه من جهة، ومن جهة أخرى التي تبحث في توفر الآليات العاملة على تأمين التأثير المنضبط للبيئة. كما أظهر التحليل عدم وجود تصور متداول للشخصية، والذي يجيب على هذه المتطلبات. هذا ما أمن شروطاً لتحريك الفرضية، ويمكن استخدام المفهوم، الذي يفرض بنفس الوقت وجود آليتين مختلفتين لتطبيق التأثيرات ذات التوجه الهادف ضمن البنية النفسية للشخصية هما: الضبطية والوظيفية. تؤمن الآلية الضبطية تحقيق الحدث النفسي وأي تأثير على مبدأ ((إفراغ التوتر)). في هذه الحالة تحدد الحاجات الغير ملباة على شكل رغبات بأي شيء كان أو أهواء معينة للطرق وتبادل التأثير للحصول على المادة المحتاجة، بعد الوصول إلى تأمين الحاجات يتوقف النشاط. بالتالي، يكون التوجه الهادف مبدئياً مشروطاً بالحاجات. يدخل في تعداد المتطلبات الأولية في الغالب: الجسدية (في الغذاء، اللباس، العيش)، اجتماعية (في الناس الآخرين)، معارفية، جمالية. يتم تلبية المتطلبات المتنوعة على التوالي . يرتبط ظهور متطلبات جديدة بالعمليات التفاؤلية في تلبية المتطلبات الحاضرة.

الآلية الأخرى، التي كان من الأنسب تسميتها بالوظيفية تؤثر على مبدأ ((النشاط التركيبي)). بقوة النشاط الأولي سيحصل الجسم أثناء عملية التأثير المتبادل مع البيئة صدفة على النتائج المفيدة بالنسبة له، بمعنى القدرة المرتفعة لنشاطه؛ يؤمن الموقف الحيوي تكرار التأثيرات المفيدة، التي تتحول إلى عادة، والتي يدورها يمكن تسميتها في هذا السياق بالمتطلبات. إن ظهور أشكال جديدة للنشاط، وبالتالي، العادات – المتطلبات مرتبطة بغير مضمون التأثير المتبادل مع الوسط المحيط، إما بتغيره هو، أو بتغير مستوى نشاط الجسم. حسب هذا المخطط يحدد مستوى نشاط الجسم بواسطة قدراته الطاقية ومستوى تطور العناصر العملياتية، أي المقدرات العامة. يمكن أن يتم التأثير المتبادل للجسم مع الوسط المحيط بالتوازي في عدة

اتجاهات.

في العموم كل آلية من الآليات النفسية قادرة على تأمين المستوى الضروري من الحياة المعيشية للجسم، ولكن بشكل منفصل لا يستطيع تحديد جميع أشكال السلوك الملاحظة في الحياة الحقيقية. إن الخاصة المشتركة الأهم لكلتا الآليتين هي نشاطهما الأولي بالنسبة للبيئة . بذلك يظهر مبدأ النشاط النفسي.

يفترض، أن في بداية التطور الوراثي عند كل شخص، تدخل مجال الحياة وتبدأ بالتأثير في المواقف المتنوعة (قبل كل شيء في شروط التربية)، فقط آلية واحدة من الآليات المتوفرة. فإذا كانت تلك هي الآلية الضبطية، فإنها تؤثر على البنيات العملياتية والطاقية، ومن جراء محدوديتها لا تمنع إمكانيات المطابقة مع الواقع للآلية الوظيفية. عندئذ يتوقف سلوك الإنسان مع الظواهر الخاصة للأنواع النفسية الضبطية. يمكن تفضيل مثل هؤلاء الناس وفقاً لشكل المتطلبات المكتسب. تتعلق درجة تلبية المتطلبات بقوتها وبمستوى تطور القدرات الاجتماعية.

عندما تتطابق مع الواقع منذ البداية الآلية الوظيفية، فهي بالدرجة الأولى تؤمن بالكامل وجودية الجسم. يتميز الإنسان ذو الآلية الوظيفية الحيوية بالحينية، والتكيف مع الوضعية المتغيرة. التماثل ومستوى هذا التكيف متعلق بتطور القدرات الشاملة والعامة عند الإنسان، فالفوارق بين أناس منفردين من النوع الوظيفي تأخذ في الغالب طابعاً كمياً.

يمكن أن ينشأ عند ممثلي النوع النفسي الضبطي عدم توافق ما بين قوة الرغبات وتلبيها، أي بين المتطلبات والقدرات الخاصة . ما يميز الآلية الوظيفية نشوء حالة إنهاك عام أو إعادة توتر مجمل وسائط التكيف الفردية، والقدرات العامة . كما في إحدى الحالات كذلك في حالات أخرى تستطيع المشكلات الناشئة أن تصبح سبباً للمرض.

في مرحلة ما من مراحل التطور الفردي يمكن وقوع الحالة، التي تظهر فيها الحاجات عند الإنسان ذو التنوع السلوكي الطبيعي محققة بشكل نسبي، وهو ما يقود إلى تخفيض ((نشاط)) الآلية الضبطية، عندها تتحرر من الضغط التراكيب

العملياتية والطاقية، وعلى نفس الشاكل تتاح إمكانية ((تشغيل)) الآلية الوظيفية.
على العكس، يمكن أن تنشأ عند الإنسان ذو النوع الوظيفي للسلوك في وقت محدد تعقيدات تخص تلبية المتطلبات - العادات. يصبح سبب ذلك نشوء متطلبات جديدة، التي تحتاج إلى تلبية الاحتياطات العملياتية والطاقية الإضافية نتيجة لتأمين وتلبية الحاجات الأولية. في هذه الحالة تنشأ ظروف مطابقة الآلية الضبطية مع الواقع لتنظيم الحالة النفسية.

تبدأ تأثيرات الآلية ((الجديدة))، بأي درجة كانت، في مقاومة تأثيرات الآلية السابقة. يجري ذلك عند الأشخاص ذوي النوع الضبطي منذ البدء بسبب الوضعية التي تعمل حتى هذه اللحظة على تأمين تلبية المتطلبات الأولية. يجري في نفس الوقت مع بدء تأثير الآلية الوظيفية مع نشاط التراكيب الجديدة الغير مؤثرة مبكراً فتح مجالات جديدة للتأثير المتبادل بين الإنسان والبيئة، ولتشكيل متطلبات جديدة تعمل على زعزعة الظروف الحالية المناسبة للمتطلبات الأولية الخاصة بالتوازن .

بالنسبة للأشخاص من النوع الوظيفي يرتبط نفسه ((التشغيل)) للآلية الضبطية بما تفعله الجملة العملياتية المتشكلة، التي تؤمن المتطلبات الأولية، بحيث يعد ذلك غير فعال بالشكل الكافي . لذلك تكون تأثيرات الآلية الضبطية موجهة نحو تغير هذه الجملة.

في النتيجة ينشأ إشكال شخصي داخلي، تتمثل صفاته في الأساس بوجود تناقض بين المتطلبات الملباة بوقت واحد من أشكال مختلفة المصدر وتلبية كل واحدة منها، وهو مرتبط بعدم التلبية المؤكدة للآخرين . يقع مستوى الإشكال ودرجة توتره في ارتباط مباشر بقدرات كلتا الآليتين . كلما كانتا كبيرتين، كان الصدام أكثر عمقاً واكتسب شكلاً مرضياً.

لذلك فعملية إبعاد الإشكال حتماً مرتبطة بضرورة الانتقاء بين الخيارات، من البديهي، في صالح آلية التوظيف الأولية، ولكن مع حساب التغيرات السابقة. في النتيجة يصبح الشخص أكثر دقة في تقييم متطلباته وإمكانياته، وينتقل إلى درجة نوعية جديدة من المعرفة الذاتية، التي تتمثل في إبراز نفسه ضمن العالم المحيط.

بالتحديد هذا هو ما تعنيه القيمة الإيجابية والقيمة التكيفية المسببة للتناقض في النتيجة يمكن فرز الأنواع النفسية التالية:

- ضبطي (عند اكتساب الآلية النفسية الضبطية).
- وظيفي (عند اكتساب الآلية النفسية الوظيفية).

عدا ذلك، تجدر الإشارة إلى الطبيعة المتنوعة للعلاقات بين الآليتين. فمن الثابتة والمستقرة، عند الدوافعية الظاهرة لواحدة منهما، إلى الغير ثابتة والمتوترة عندما تكون الآلياتين قريبتين من درجة الإظهار لديهما.

فيما عدا ذلك، فإن واحدة من الآليات النفسية المشار إليها تؤمن بالتأكيد الوجود الحيوي للإنسان، والتصنيفات الحالية لا تفرض وجود أناس غير منتمين إلى ذاك أو هذا النوع.

تعتمد الوضعيات الأساسية المقدمة للنظريات في الفرضية على وجود آليتين نفسيتين مستقلتين نسبياً وذوات نشاط هادف التوجه لدى كل إنسان. تحقق واحدة من الآليات لمجموعة محددة من الناس المثالية بالنسبة لأشكال السلوك. تؤمن الآلية الأخرى الاختلافات الفردية الكمية ليس إلا. لذلك يمكن أن يسمى المفهوم المقترح بالتصنيفي - الفردي. يحتوي هذا الكتاب التعليمي على الكثير من المعطيات في صالح وجوده واستخدامه.

في العموم يمكن الحديث حول أهلية إعداد أشكال جديدة لاتحاد مختلف طرق أساليب التعليم، التي تعطي استخداماً أكثر تقدماً لعلم النفس التفاضلي في حل المشاكل الحياتية نظرياً وعملياً.

oberkanal.com

تعقيب:

لا يمكن لعلم النفس التفاضلي عند الإنسان استفراغ كامل محتوى علم النفس التفاضلي؛ وإن الفهم المتكامل لخواص علم النفس التفاضلي عند الإنسان ممكن بالمقارنة مع الأقسام الأخرى لعلم النفس، وذلك عند إظهار نقاط التلاقي والتباعد بينهما.

توجد جميع الأسس للتأكيد على أن الفوارق الفردية والجماعية ليست حرصاً على الناس فقط، وإنما تخص الحيوانات أيضاً. حتى على المستوى الاعتيادي، من المعروف وجود الفوارق في الطباع وخواص الذكاء عند القطط والكلاب وكذلك عند ذوي الطبيعة الواحدة. توجد عند أصناف الحيوانات عادة بعض الميزات، التي تنفذ من خلالها دور القيادة ((الزعامة)). تستطيع هذه وغيرها من الملاحظات أن تصبح مادة لدراسة علم النفس الحيوان أو علم النفس التفاضلي المقارن.

ولكن ما يعد مثيراً بالخصوص وكخطوة متقدمة هو إنشاء علم النفس الاجتماعي التفاضلي. هذا ممكن في تلك الحالة، التي يتم فيها قبول جماعة صغيرة كمادة دراسة لعلم النفس الاجتماعي، أي بمعنى من الناس ذوي التأثير المتبادل. عندها وكما في علم النفس التفاضلي للإنسان يمكن أن تدرس الخواص النفسية للمجموعات المختلفة الأنواع (كمثال، المجموعة والجماعة والفريق)، كذلك الشروط الأولية لإنشائها والخواص النفسية للمجموعات المنظمة شكلياً ...الخ.

على هذا النحو، تتوفر أسس حقيقية بشكل كاف من أجل التطور المستقبلي كما لعلم النفس التفاضلي بالعموم وكذلك لعلم النفس التفاضلي عند الإنسان.

obeikandl.com